الفصل الثالث

(في معنى قوله صلي الله عليه وسلم ان لله سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره في بعض الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعين الفاً)

فأقول ان الله تعالى متجل في ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب بالاضافة الى محجوب لا محالة وان المحجوبين من الخلق ثلاثة أقسام منهم من يحتجب بمجرد الظلمة ومنهم من يحتجب بالنور المحض ومنهم من يحتجب بنور مقرون بظلمة وأصناف هذه الاقسام كثيرة تتحقق كثرتها ويمكنني ان اتكلف حصرها لكني لا أثق بما يلوح من تحديد وحصر اذ لا يدري أهو المراد في الحديث أم لا أما الحصر الي سبعمائة أو سبعين الفاً فذلك لا تستقل به الا القوة النبوية مع ان ظاهر ظني ان هذه الاعداد مذكورة لا للتحديد وقد تجري العادة بذكر أعداد ولا يراد بها الحصر بل التكثير والله أعلم بحقيقة ذلك فهو خارج عن الوسع وانما الذي يمكنني الآن ان أعرفك هذه الاقسام وبعض أصناف كل قسم فأقول (القسم الاول) هم المحجوبون بمحض الظلمة وهم الملحدة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وهم الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة أصلا وهم أصناف ٠٠ صنف تشوق الى طلب سبب لهذا العالم فاحاله الطبع والطبع صفة مركوزة في الاجسام حالة فيها وهي مظلمة اذ ليس لها معرفة وادراك ولا خبر لها من نفسها ولا تصور لها وليس لها نور يدرك بالبصر الظاهر أيضاً ٠ الصنف الثاني هم الذين شغلوا بأنفسهم ولم يتفرغوا لطلب السبب بل عاشوا عيشة البهائم فكان حجابهم أنفسهم المركوزة وشهواتهم المظلمة فلا ظلمة أشد من الهوى والنفس ولذلك قال الله تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) وقال النبي صلى الله عليه وسلم الهوى أبغض إله عبد الي الله وهؤلاء يتقسمون فرقاً ففرقة زعمت ان غاية المطلب من الدنيا هي قضاء الاوطار ونيل الشهوات وادراك اللذات البهيمية من منكح ومطعم ومشرب وملبس فهؤلاء عبيد اللذة يعبدونها ويطلبونها ويعتقدون ان نيلها غاية السعادة رضوا لانفسهم بان يكونوا بمنزلة البهائم بل كيلا ينظر الناس اليه بعين الحقارة وهؤلاء الاصناف لا يحصون وكلهم محجوبون عن الله بمحض الظلمة وهي نفوسهم المظلمة

ولا معنى لذكر آحاد الفرق بعد وقوع التنبيه على الاجناس ويدخل في جملة هؤلاء جماعة يقولون بلسانهم لا اله الا الله ولكن ربما حمله علي ذلك خوف أو استظهار بالمسلمين أو تجمل بهم أو استمداد من مالهم أو لاجل التعصب لنصرة مذهب الآباء وهؤلاء اذا لم تحملهم هذه الكلمة على العمل الصالح فلا تخرجهم من الظلمات الى النور بل أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات فأما من أثرت فيه الكلمة بحيث ساءته سيئاته وسرته حسناته فهو خارج عن محض الظلمة وان كان كثير المعصية (القسم الثاني) طائفة حجبوا بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة أصناف صنف منشأ ظلمتهم من الحس وصنف منشأ ظلمتهم من الخيال وصنف منشأ ظلمتهم من مقاييسات عقلية فاسدة ٠٠ الصنف الاول المحجوبون بالظلمة الحسية وهم طوائف لا يخلو واحد منهم عن مجاوزة الالتفات الى نفسه وعن التأله والتشوق الى معرفة ربه وأول درجاتهم عبدة الاوثان وآخرهم الثنوية وبينهما درجات ٠٠ الطائفة الاولى عبدة الاوثان علموا في الجملة ان لهم ربا يلزمهم ايثاره علي نفوسهم المظلمة واعتقدوا ان ربهم أعز من كل شيء وأنفس من كل نفيس ولكن حجبتهم ظلمة الحس عن ان يتجاوزوا العالم المحسوس فاتخذوا من أنفس الجواهر كالذهب والفضة والياقوت أشخاصاً مصورة بأحسن الصور واتخذوها آلهة فهؤلاء محجوبون بنور العزة والجمال من صفات الله وأنواره ولكنهم الصقوها بالاجسام المحسوسة وصدهم عن ذلك النور ظلمة الحس فان الحس ظلمة بالاضافة الى العالم الروحاني كما سبق ٠٠ الطائفة الثانية جماعة من أقاصي الترك ليس لهم ملة ولا شريعة يعتقدون ان لهم رباً وانه أجمل الاشياء واذا رأوا انساناً في غاية الجمال أو شجراً أو فرساً أو غير ذلك سجدوا له وقالوا انه ربنا وهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس وهم أدخل في ملاحظة النور من عبدة الاوثان لانهم يعبدون الجمال المطلق دون الشخص الخاص ولا يخصصونه بشخص دون شخص ثم يعبدون الجمال المطبوع لا المصنوع من جنهم وبأيديهم ٠٠ الطائفة الثالثة قالوا ينبغي ان يكون ربنا نورانياً في ذاته بهيا في صورته ذا سلطان في نفسه مهيباً في حضرته لا يطاق القرب منه ولكن ينبغي ان يكون محسوساً اذ لا معنى لغير المحسوس عندهم ثم وجدوا النار بهذه الصفة فعبدوها واتخذوها ربا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)